

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين،
سَيِّمًا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِينَ الْحَجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام وَاللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ عَلَى
أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ، مِنَ الْآنَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

بعد ازدهار العلم ووفرة العلماء والطلاب في مدرسة الحلة الفيحاء، وبعد
الأحداث المؤلمة التي جرت على الشيعة في بغداد بزغت في الحلة شخصيات لامعة في
مختلف العلوم الإسلامية على مستوى التأليف والتدريس تُعدُّ من النوابع القلائل الذين
يُضِنُّ بهم الدهر، وبذلك فقد تأسست مدرسة علمية كبرى، شاد صرحها أساطين
الفحول من علماء الإمامية، وتسلمت زعامة الطائفة الحقة علي مدى قرون من الزمن.
وبذلك طار صيت الحلة في أرجاء البلاد الإسلامية، واستقطبت أكابر العلماء
والمجتهدين من شتى أقطار العالم الإسلامي، كجبل عامل، وإيران، والبحرين،
إضافة إلى المدن العراقية أنفسها.

إلا أنّ ممّا يؤسف له أنّ الكثير من تاريخ هذه المدرسة العريقة آل إلى الضياع
والاندراس، فخفيت أخبارها، وحُيت آثارها، لولا عناية الله تعالى التي أدّت إلى
حفظ النزر اليسير من المخطوطات التي وثّقت جزءاً بسيطاً من تاريخها، ممّا يُنبئ
عن إرث عريق، وتراث زاخر عظيم.

٨..... نظم الدرر في واجبات النظر

ولقد أولى مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية منذ تأسيسه اهتماماً خاصاً بحوزة الحلة الفيحاء، وحاول تسليط الضوء على خفايا تاريخها، والتعريف بخبايا تراثها المغمور في زوايا المكتبات، من خلال تحقيق ونشر آثارها، وتقديم دراسات علمية معمقة، ورفد المكتبة الإسلامية وتزويدها بأحدث البحوث وأتقن الدراسات ذات الصلة بها.

ومن تلك المخطوطات التي سلمت من كوارث الزمان وطوارق الحداث هذا الكتاب الثمين الذي نُقِّدَته اليوم بين يدي القارئ الكريم مطبوعاً، وهو كتاب «نظم الدرر في واجبات النظر»، وهو من مصنفات المولى إبراهيم بن محمد بن سلامة الشقراوي رحمته الله، وهو من علماء جبل عامل، وقد هاجر في سبيل طلب العلم إلى الحلة الفيحاء، واستوطنها حتى بلغ منزلة رفيعة في العلم، وصنّف عدّة مصنفات، منها كتابه هذا الذي وجدناه عميقاً في المباحث الكلامية، مُلماً بجوانب الموضوع، خبيراً بدقائقها وخفاياها، فهو يستعرض الأبحاث استعراضاً موجزاً، مع تثبّت فيما ينقل وتقييم للآراء الموافقة له والمُعاكسة لما يرتبه. وبهذا يُعتبر مؤلفه مُحايداً يطلب الحق للحق، ولا يتأثر بالهوى والعصبيّة.

ولا يطيب لنا في الختام إلا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لمحقّق الكتاب، ولكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى عالم النور، ونخص بالذكر المتولّي الشرعيّ للعتبة الحسينيّة المقدّسة فضيلة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (حفظه الله ورعاه).

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

مركز العلامة الحلي

لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية

التابع للعتبة الحسينيّة المقدّسة

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد النبي الأمين، وعلى آله
الميامين الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

وبعد، إذا قلنا إنّ موضوع العلم ومسائله تعدّ من العوامل التي تمنح العلوم شرفاً
وسموّاً، فلا شك أنّ علم الكلام يعدّ من أسمى العلوم وأشرفها؛ فإنّ مسائله تدور
حول معرفة الخالق، وصفات الباري عزّ وجلّ وسائر الأصول العقائدية التي لا بدّ
لكلّ مسلم من معرفتها والإيمان بها.

إنّ أهميّة هذا العلم وشرافة موضوعه ومسائله صار سبباً ليتطرق إليه علماء
المسلمين كافّة، وخاصّة علماء الشيعة في القرون الإسلامية الأولى، ممّا أدّى إلى تطوّر
هذا العلم وتكامله، في ظلّ حواراتهم ومباحثاتهم ومناظراتهم العلمية.

ومن خطوات علماء الدين في هذا المضمار هو تصنيفهم العديد من المصنّفات؛
حيث جعلوا تاريخ هذا العلم غنيّاً مثمراً؛ فإنّ المكتبات ومخازن المخطوطات مملوءة
من مصنّفات وكتب أعلامنا مثل الشيخ المفيد والشيخ الطوسي... إلى المحقّق
الطوسي والعلامة الحليّ، والكثير من علمائنا المعروفين أو غير المعروفين؛ حيث وصلتنا
مصنّفاتهم من بين خضمّ اضطرابات الدهر، وتغيّر صروفه وحدثانه.

١٠ نظم الدرر في واجبات النظر

وقد حُقّق في هذه العقود الأخيرة العديد من هذا التراث العلمي الثر؛ وذلك بهمة وجهود مؤسّسات علميّة اعتنوا بإحياء التراث الإسلامي الشيعي، وقد ظهرت في حلّة قشبية، وصارت في متناول طلابها.

ومع ذلك، فما زال في زوايا المكتبات وخباياها حتّى الآن الكثير من النسخ الخطيّة من تصانيف علماء المسلمين، وتأليفات الشيعة الكلاميّة، التي تنتظر التحقيق والنشر العلمي؛ فإنّ إحياء هذه المصنّفات يمكنها أن تبدي لنا بوضوح آراء متكلمي الشيعة، وطريقة استدلالهم وكيفيّة تعاملهم وتعاطيهم مع بعضهم الآخر، في عهودٍ مختلفة للكلام الشيعي، وأن تمهّد أمام طلبة العلم طريقاً مهيعاً لمعرفة آفاق جديدة في علم الكلام.

لقد شهد علم الكلام الشيعي في الحقبة الزمنيّة بين القرن السادس إلى القرن الثامن تطوّراً علمياً لمدرسة الحلّة الذي بلغ آنذاك أوجّه. وقد حصل هذا التطوّر بعد أُنْفول مدارس بغداد وقم والريّ في المنتصف الثاني وأواخر القرن الخامس، وأوائل القرن السادس، وكان ذلك في مدينة متجدّرة التشيع، وقد شيّدت أُسُسها على الأصول الشيعيّة.

وقد تقوّى علم الكلام في هذه المدرسة على مرّ الزمن، مع ما لاقاه من منافسيه ونظرائه في المجال المذهبي، وما واجهه من انتقادات المخالفين، حتّى صارت له الهيمنة فيها إلى حدّ بحيث حازت الحلّة في نقل التراث الكلامي من مدارس قم والريّ وطهران مقاماً كلامياً مهمّاً بعد الخواجه نصير الدين الطوسي (٦٧٢ هـ)، وبفضل زعامة العلامة الحليّ للحوزة العلميّة المباركة، وتربية الطلّاب الأمثال، وما استمرّ

عليه العلماء ممّن خلفه في هذا المسير العلمي .
وانطلاقاً ممّا تقدّم؛ فإنّ إحياء المصنّفات الكلاميّة لهذا العهد الذهبي للشيعة يمكن
أن يفتح لنا باباً جديداً لنزداد معرفةً بمدرسة الحلّة الكلاميّة، ونطلّع على خصائص
هذه المرحلة ومعالمها.

وإنّ هذا الكتاب الذي أمامنا هو من نفائس المصنّفات الكلاميّة الشيعيّة المتبقّية من
مدرسة الحلّة، إلّا أنّه - ومع الأسف - ظلّ حبيس المكتبات، ولم يُطبع ولم يُحقّق حتّى
الآن.

وقد وفق الله تبارك وتعالى راقم هذه السطور ليمضي في ظلّ اللطف الإلهي
وعنايته قدماً في تحقيق وإحياء هذه النسخة؛ لتكون خطوةً أخرى في طريق معرفة
صفحة جديدة من الفكر الكلامي الشيعي.

ولا بأس أن نرصد القارئ بنبذة يسيرة من تاريخ علم الكلام الشيعي، ومنزلة
مدرسة الحلّة من بين المدارس الكلاميّة، ثمّ ما وقفنا عليه من ترجمة المؤلّف، والتعريف
بكتابه هذا.

أولاً:

من تاريخ علم الكلام ومدرسة الحلة الكلامية

علم الكلام وموضوعه

نظراً إلى صعوبة إبداء تعريف شامل لعلم الكلام، ورعايةً لمناهج ووجهات نظر أهل الكلام المختلفة في تعاريفهم، فإنه يمكن القول بأنّ علم الكلام «هو علمٌ يتصدّى إلى استنباط وتوضيح وتنظيم وإثبات العقائد الإسلامية، والدفاع عنها، وذلك بالاستعانة من طرق مختلفة».^(١)

وبتعبيرٍ آخر علم الكلام هو علمٌ يبحث في العقائد الإسلامية، ويبينها ويستدلّ لها ويدافع عنها.^(٢)

إنّ هذا التعريف الذي شمل الموضوع (العقائد الإسلامية)، والمنهج (الاستعانة بالمناهج المختلفة)، والعمل (الاستنباط والتوضيح والتنظيم والإثبات والدفاع) قد رصد علم الكلام، وأخذه بعين الاعتبار، منذ بدايته وحتى يومنا هذا، على أنّه من

(١) كلام شيعه، ماهيت، مختصات ومنابع [الكلام الشيعي، ماهيته ومختصاته ومنابعه]: ٣٠.

(٢) مجموعة آثار استاد شهيد مطهري [المجموعة الكاملة للشهيد المطهري] ٣: ٥٧.

الممكن خلال هذه الفترة الزمنية أو في بعض مقاطعها قد ازدادت بعض جوانب علم الكلام، أو بعض مواضيعه قوةً أو كانت أكثر بروزاً وتوسعاً.

نظراً إلى ما اختلف عليه آراء العلماء من أن علم الكلام هل له موضوع أو ليس له موضوع؟ وما موضوعه؟

وعلى فرض قبولنا أن «موضوع كل علم ما تتمحور مسائل ذلك العلم»؛ فإنه يمكننا أن نعدّ «أصول العقائد» عنواناً جامعاً لموضوع علم الكلام، بحيث يشمل جميع تعاليم علم الكلام في مجرى التاريخ، ويمكن أن نرتبه على طبقات في ثلاثة محاور: معرفة الباري وصفاته، ومعرفة حجج الله على العباد، والمعاد.

مهام علم الكلام

نظراً للتعريف الذي مرّ آنفاً لعلم الكلام، فإنه يمكننا أن نقول في مهامه ما يلي:

١. الاستنباط والاستخراج: استخراج واستنباط العقائد الإسلامية في علم الكلام من مصدرين أصليين، أي القرآن والسنة؛ وذلك بناءً على الطرق المعتمدة لفهم الدين.

٢. التوضيح: هو تبين وشرح المفاهيم والمسائل الاعتقادية الإسلامية، بنحو مفهوم ومقبول.

٣. التنظيم: ما يتكفل بتنظيم وترتيب مختلف الأبحاث الاعتقادية التي لم تحظ بنظم خاص في النصوص الدينية، ولم تك ذات منسق كسائر الكتب التي يؤلفها العلماء، فيجعلها ذات نظم وترتيب، بحيث يتعين ربط المواضيع ونسبتها مع بعض

١٤ نظم الدرر في واجبات النظر

عند وضوح مقام وموضع كلّ بحث.

٤. الإثبات: إثبات التعاليم الاعتقاديّة غير البديهيّة منها التي تفتقر إلى دليل.

٥. الدفاع: هو الدفاع المعقول والهادف عن المعتقدات الإسلاميّة، ودحض آراء المعارضين والمخالفين.^(١)

الكلام الشيعي ومراحله التاريخية

ربما يكون هذا البيان هو أفضل ما يقال في الكلام الشيعي، وهو أنّ الكلام الشيعي علمٌ أخذ أوّل مواده العلميّة في الفكر والآراء والامتداد العلميّ والمنهج والمصادر من: القرآن، والسنة النبويّة، ومن تراث الأئمة الأطهار عليهم السلام. وقد سعى أن يزداد تطوّراً وازدهاراً، وفاقاً لتعاطيه مع سائر الثقافات والحضارات الأخرى.

وهذا بمعنى أنّ الكلام الشيعي وإن كان مأخذه من الوحي الإلهي، والأحاديث النبويّة الشريفة، وروايات الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ ولكنّه لم يخل من مداخلة المتكلّمين فيه، وتصرّفهم به، ولم يمنعهم ذلك من ذكر احتمالاتهم وتحليلاتهم، كما لم يمتنعوا من تناول أبحاث سائر العلماء لبسط الكلام فيه.

فإنّ دخول الأمور العامّة في الكلام الشيعي والتحوّل الفلسفي له دليلٌ واضح على مدخليّة الفكر البشري العقلاني في أبحاث علم الكلام الشيعي.

إنّ أبحاث علم الكلام وطريقة ترتيب مواضيعه عقائديّة وتاريخيّة، وتكوّنت مع مرور الزمن. وكلّ جيلٍ لاحق أضاف إلى تراث أسلافه من الجيل الماضي موضوعاً أو

(١) كلام شيعه، ماهيت، مختصات ومنابع [الكلام الشيعي، ماهيته ومختصاته ومنابعه]: ٣٦-٣٧.

تأليفاً أو يجعل له هيكلية ذات نظم وترتيب، ويمكننا من خلال البحث والتنقيب والدراسة التاريخية للمصنّفات الكلامية والعقائدية أن ندرك هذا الأمر، وأن نطلع على كيفية تجلّي المباحث والمسائل الكلامية، وسيرها التاريخي.

ومن جهة التطوّر الهيكلي؛ فإنّه يمكننا أن ننظر إلى تاريخ الكلام الشيعي من خلال ثمان مراحل زمنية:

١. مرحلة التكوين: عصر الرسول الأعظم ﷺ.
 ٢. مرحلة الامتداد الديني: بعد الرسول الأعظم ﷺ، وحتى بداية القرن الثاني الهجري.
 ٣. مرحلة التدوين الموضوعي: القرن الثاني والثالث الهجريين.
 ٤. مرحلة التبيين والتنظيم الموضوعي: القرن الثالث والرابع الهجريين.
 ٥. مرحلة النظم الهيكلي: القرن الخامس والسادس الهجريين.
 ٦. مرحلة التطوّر والتكامل: القرن السابع والثامن الهجريين.
 ٧. مرحلة الشرح والتلخيص: القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الهجري.
 ٨. مرحلة الإصلاح والتنقيح: منتصف القرن الرابع عشر الهجري^(١).
- وبما أنّ هاتين المرحلتين الخامسة والسادسة من حيث الزمان هما أقرب إلى المرحلة التي يرتبط بها موضوع كتابنا هذا فيما بعد؛ فإننا سنشير إلى خصوصية هذه المرحلة.

مرحلة النظم الهيكلي

ففي هذه المرحلة التي اهتمّ بها المتكلّمون إلى تدوين العقائد والأصول الاعتقادية الشيعية، فقد سلك علم الكلام نظاماً هيكلياً.

(١) سير تطور كلام شيعه [سير تطوّر الكلام الشيعي]: ٤٧ - ٥٨.

١٦ نظم الدرر في واجبات النظر

وقد أسّس علماء الشيعة بتعويلهم على القرآن، واستفادتهم من روايات أهل البيت عليه السلام مدرسة متعالية في الفكر الشيعي، وقد وطّدوا أصولها بنحوٍ بحيث ما زال لها قصبة السبق في تقدّمها ونشاطها الحيّ وتطوّرها المثمر المعطاء.

وإلى جانب المؤلّفات الموضوعية لهذه المرحلة، فقد ظهرت من قبل متكلمي الإماميّة مصنّفات جامعة في علم الكلام، بحيث شملت جميع المباحث العقلية والعقائدية.

مرحلة التطوّر والتكامل

إنّ مساعي العلماء من ذوي الفكر والنظر، مثل الخواجه نصير الطوسي (٦٧٢هـ) قد ميّزت هذه المرحلة عن سابقتها؛ فإنّه مع ما أوجده من نظم جامع وترتيب منظم ومنهج جديد ومبتكر، وباستفادته من الأصول والقواعد الفلسفية، قد ساق علم الكلام إلى التطوّر والتكامل.

وإنّ المقارنة بين (تجريد الاعتقاد) مع كتب الماضين تجعل هذا الأمر أكثر وضوحاً وتجلياً.

وفي مقارنة المناهج في المراحل المختلفة يمكننا أن ننظر إلى المنهج السائد بين متكلمي الشيعة:

(١) الالتزام بالنصّ.

(٢) الالتزام بالتأويل العقلي.

(٣) الالتزام بالحكمة الفلسفية.

فهذا المعيار يمكننا أن نعدّ الكلام الشيعي في القرن السابع الهجري - وعلى أقلّ التقديرات إلى قرن أو قرنين بعده - كلاماً ذا منهجٍ فلسفيٍّ.^(١)
إنّ منهجيّة الالتزام بالحكمة الفلسفيّة الحاكمة على النسخة التي أمامنا تتطلّب منّا أيضاً أن نتطرّق إلى توضيح هذا المنهج.

ففي هذه الطريقة من خلال الاستفادة من العقل - وهو العقل الذي تكون له صبغة فلسفيّة، ونعني بذلك الاستفادة من القواعد والأصول الفلسفيّة - نتطرّق إلى الأبحاث الكلاميّة، واستمداداً من سلسلة من القضايا البدهيّة أو النظريّة - المتولّدة من البدهيّات - نبحت في كليّات هذا العالم (عالم الوجود) بمنطقٍ فطري.

وبهذا السبب نتوصّل إلى مبدأ خالق العالم، وإلى كيفيّة ظهور هذا العالم، ومبدئه وخلقه.
فإنّ الالتزام بالكتاب والسنة في هذه الطريقة يبقى مصاناً ومحفوظاً، ولكن ورود هذه الأبحاث والاستدلالات، وخروجها في ذات صبغة فلسفيّة، وتستند إلى القواعد الفلسفيّة مهما استفيد من الآيات والروايات بصفتها مؤيّدين.
وقد تكفّل النوبختيّون بهذه الطريقة في أوائل الغيبة الكبرى، وقام الخواجة نصير الدين الطوسي فيما بعد بإكمالها وإتمامها.^(٢)

المدارس الكلاميّة عند الشيعة

خصائص المدرسة الكلاميّة

المدرسة الكلاميّة لها خمس خصائص (ثلاث خصائص أصليّة، وخصيصتان فرعيّتان).

(١) سير تطور كلام شيعه [سير تطوّر الكلام الشيعي]: ٤٧ - ٦١.

(٢) المصدر: ٦١ - ٦٥.

١٨ نظم الدرر في واجبات النظر

الخصائص الأصلية

- (أ) لا بدّ من إنتاج سنّة فكرية مميّزة من وجهة المحتوى والأدبيات والمنهجية.
- (ب) لا بدّ من وجود منهج دراسي شامل للتدريس والتعلم والتدرّج في نقل المعلومات الكلامية في تلك الحوزة الواحدة.
- (ج) إنتاج أدب كلامي تعمّ الكتابة والشفهي.

الخصيصتان الفرعيتان

- (د) أن يكون ظهورها في مجال تاريخي محدود.
- (هـ) وفي منطقة جغرافية واحدة.
- فإنّ هاتين الخصوصيتين كانتا موجّهتين من خلال الظروف السابقة، ونظراً إلى التطوّر التكنولوجي، وتبادل المعلومات في عصرنا الحاضر، فلا حاجة لنا بهما.
- فمع ملاحظة هذه الخصائص يمكننا أن نميّز اثنتي عشرة مدرسة كلامية في تاريخ التشيع:

- (١) مدرسة المدينة الأولى.
- (٢) مدرسة المدينة الثانية.
- (٣) مدرسة الكوفة.
- (٤) مدرسة بغداد الأولى.
- (٥) مدرسة قم والري.
- (٦) مدرسة بغداد الثانية.
- (٧) مدرسة الحلة الأولى.

(٨) مدرسة الحلة الثانية.

(٩) مدرسة شيراز.

(١٠) مدرسة أصفهان.

(١١) مدرسة خراسان المعرفية (مكتب تفكيك).

(١٢) المدرسة الصدرية الحديثة.

مدارس الكلام الشيعي التي يمكن ملاحظتها في الفترة الزمنية المتخللة بين القرن الرابع وحتى القرن الثامن (وإنّ التعرّف عليها سيكون مؤثراً في معرفة المراد) هي عبارة عن: بغداد، قم والري والحلة.

وإنّ المدرستين الأصليتين لهذه المرحلة هما مدرسة قم وبغداد وسائر المدارس كانت متأثرة نوعاً ما بإحدى هاتين المدرستين، ومن جملة هذه المدارس التي تأثرت بإحدى هاتين المدرستين هي مدرسة الريّ ومدرسة الحلة اللتان كانتا امتداداً لمدرسة بغداد، ومن ثمّ سنقوم بدراسة خصائص مدرستي بغداد والحلة.

مدرسة بغداد الأولى

سافر الإمام الصادق (استشهد ١٤٨ هـ) عليه السلام إلى بغداد على أقلّ التقديرات مرّة واحدة أو ربّما مرّتين، وقد أجبر على السفر إلى العراق في كلتا المرّتين من قبل خليفة زمانه.

وإنّ ثمرة هاتين السفرتين مضافاً إلى معرفة الناس به، ومحبتهم له عليه السلام، هو تأسيسه لمدرسة بغداد الأولى، وكان لهذه المدرسة مقامها الخاصّ المقارن مع مرحلة غيبة الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام؛ فإنّ وجود نوابه الخاصين به عليه السلام، والعلماء والفقهاء

٢٠..... نظم الدرر في واجبات النظر

من بعده فيها قد زاد على أهميّة المدرسة الفكرية في بغداد أكثر من قبل.
ويمكننا أن نعدّ تأثيرها على الكلام الشيعي في مراحل زمنية مختلفة من خصائص
هذه المدرسة.

لقد كان لمدرسة بغداد في مراحل مختلفة دورٌ مهمٌ في تاريخ الإمامية جديرٌ
بالاهتمام.

فللهذه الأولى مهّدت سبل النموّ والرقى لمدرسة هشام بن الحكم (م ١٧٦هـ)
وأتباعه.

والمرحلة الثانية مرحلة توطيد قواعد كلام النوبختيين. وفيما يلي تأسيس كلام
شيعي ذات هيكلية ونظم من قبل الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) في هذه المدرسة، وقد
ترك أثره في المراحل المتأخرة على سائر المدارس الكلامية، مثل النجف والري.

مدرسة بغداد الثانية

شرعت هذه المدرسة في عهد أبي سهل وأبي محمد النوبختيين (من علماء القرن
الرابع)، وقد وطّدت أسسها من قبل تلامذة تلامذتهم خاصّة الشيخ المفيد (٤١٣هـ)،
وقد أفلت مع هجرة الشيخ الطوسي من بغداد سنة (٤٤٧هـ) إلى النجف الأشرف،
وذلك إثر سقوط الدولة البويهية.

مدرسة الحلة

تأسست مدينة الحلة التي يقطنها الشيعة في القرن الرابع الهجري على يد سيف
الدولة صدقة بن منصور (م ٤١٥هـ) وهي تقع بين النهرين.
هذه المدينة التي تعدّ مجمعاً للشيعة منذ تأسيسها بقيت في أمان من الاجتياح

المغولي المدّر في القرن السابع؛ وذلك بتدبير وحكمة بعض علمائها، وخاصة الشيخ يوسف ابن المطهر الأُسدي (ق٧) وهو والد العلامة الحليّ، رحمهما الله.

وعلاوة على ذلك، فقد حظيت بعلاقات حسنة من قبل الوزير الشيعي هولاكو المغولي؛ فإنّ وجود الخواجة نصير الدين الطوسي وزير هولاكو في الحلة سنة (٦٥٦هـ)، وتزوّد من أساتذتها دليل على الدور الفعّال لهذه المدرسة في علم الكلام والأصول.

وقد تمّهدت أرضيّة هذا الأمر، مع ظهور أعلام مثل ابن إدريس الحليّ (٥٩٨هـ)، وسديد الدين الحُمّصي (ق٦هـ) - الذي أقام في الحلة ودرّس بها - وكمال الدين ابن ميثم البحراني (كان حياً ٦٨٧هـ).

وبجهود ابن إدريس الحليّ (صاحب السرائر) افتُتح باب الاجتهاد في هذه المدرسة، ودخل الفكر الإمامي الاثني عشري مرحلة أخرى من النزعة العقليّة التي ازدهرت بعد سقوط البغداد.

إنّ هذه المدرسة - التي يمكننا الإشارة إلى شخصيّات الوجهاء فيها، مثل ابن إدريس الحليّ (٧٢٦هـ)، كمال الدين ميثم ابن ميثم البحراني، المحقّق الحليّ (م ٦٧٦هـ)، والعلامة الحليّ (٧٢٦هـ)، وآل طاووس الحسنيّين - هي ما نعلمها في عناوين المدرسة الأولى والمدرسة الثانية.^(١)

مدرسة الحلة الأولى

إنّ مدينة الحلة التي كانت تحظى بالفكر الفقهي والروائي، وكان يتقصها عدم

(١) سير تطور كلام شيعه [سير تطوّر الكلام الشيعي]: ٨١ - ٨٢.

٢٢..... نظم الدرر في واجبات النظر

وجود الفكر الكلامي وفقدانه، فإنَّ وجود مدرسة الحلة الأولى فيها كان امتداداً لمدرسة بغداد.

وعند عودة سديد الدين الحُمَصي من سفر الحجّ من طريق الحلة اجتمع إليه علماء الحلة في طريق عودته، وطلبوا منه أن يقيم عندهم، فأقام عندهم ستين أو ثلاث سنين، وأسس فيها المدرسة الكلامية هذا، وقد تتلمذ عليه جلّ كبار علمائها، مثل المحقّق الحليّ (٦٧٦هـ)، والشيخ ورّام ابن أبي فراس الحليّ (٦٠٥هـ) وجدّ ابن طاووس سواء كان تتلمذهم مباشراً أم بواسطة.

مدرسة الحلة الثانية

لقد أدخلت مدرسة الحلة الثانية الكلام الشيعي مرحلة جديدة. وكان ابتداء هذه المرحلة من جهة متزامناً مع مجيء الخواجة نصير الدين الطوسي مع هولاكوخان إلى بغداد، ومن جهة أخرى كان متزامناً مع مجيء ابن ميثم البحراني من البحرين إلى بغداد. هاتان الشخصيتان اللتان كانتا حاملتي الفلسفة المشائية قد أسّسا مرحلة جديدة ظهرت معالمها في أعلام، مثل العلامة الحليّ (٧٢٦هـ)، فخر المحقّقين (٧٧١هـ)، الفاضل المقداد (٨٢٦هـ)، والشهيد الأوّل (٧٨٦هـ) و... والشهيد الأوّل هو وارث المدرسة الكلامية للحلة. وقد انتقل هذا الفكر إلى لبنان والشام، مع هجرته إلى جبل عامل.

وقد حصلت وقفة في الكلام الشيعي من بعد تلامذة فخر المحقّقين، حتّى ظهور مدرستين أخريين، وهما مدرسة شيراز وأصفهان.

خصائص مدرسة الحلة

من الخصائص البارزة لهذه المدرسة إحياء الفكر الاجتهادي، النزعة العقلية، حرية الفكر، النزعة الكلامية، كما يمكن ذكر المنهج الأصولي والاعتدال. وإن دعوة المتكلم المعروف ابن ميثم البحراني (كان حياً سنة ٦٧٨ هـ) والطلب من سديد الدين الحُمَصي (ق ٦ هـ) تدريسه دورة واحدة من الكلام الاستدلالي العقلي لعلماء هذه المدينة يعرب عن هذه الخصائص.

وإن حرية الفكر في مدرسة الحلة قد بلغت حداً بحيث لجأ إليها ابن كمونة (٦٨٣ هـ) الذي أثار حفيظته تعصب البغداديين.

وإن اعتدال هذه المدرسة أيضاً جعل لها ظاهرة بحيث استطاع العلماء ورواد العلم تزامناً مع صيانتهم لأصول التشيع وأركانه (مثل إمامة أمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام)، ومخالفتهم لتحريف القرآن، ومحوية القرآن في الفكر والعمل) أن يحفظوا التشيع، ويمنعوا من طرح المسائل المتطرفة.

وربما يمكن أن نعدّ ابتداء مرحلة كتابة الشروح، وتلخيص مصنفات الماضين فيها - بحيث كانت ثمرتها عدم الابتكار - من أهم عوامل خصائص هذه المدرسة.

وبالتأكيد يمكننا أيضاً أن نرى في السيّد رضي الدين ابن طاووس الحلي (٦٦٤ هـ) مظاهر من توجههم واعتنائهم بالنص في هذه المدرسة.^(١)

دور مدرسة الحلة في تاريخ الكلام الشيعي

شهد الكلام الشيعي في الفترة الزمنية المتخللة بين القرن السادس إلى القرن الثامن

(١) سير تطور كلام شيعه [سير تطوّر الكلام الشيعي]: ٨٢ - ٨٤.

٢٤..... نظم الدرر في واجبات النظر

الهجري رقيّ مدرسة الحلة، وبلوغها ذروتها؛ وذلك حيث أفلت مدرسة بغداد في أواسط القرن الخامس، ثم مدرسة الري في نهاية القرن الخامس، وبداية القرن السادس، وشهدت مدينة الحلة الشيعة العريقة - التي دخل مخطّطها ضمن المؤسسة الشيعية - كيفية تكوين مدرستها، حيث كان علم الكلام فيها أمراً جانبياً بادئ الأمر، ولكن استقام أمرها، واستفحل عُودها تزامناً، مع قوّة منافسيها من سائر المذاهب، وانتقادات المخالفين.

على الرغم من أنّ الحلة قد أسست في سنة ٤٩٥ هـ على يد أمراء آل مزّيد؛ ولكن يبدو أنّ الكلام الشيعي لم ير له إلى جيلين من بعد تأسيس الحلة أيّ تصنيف أو أثر كلامي. ومع ذلك؛ فإنّ الحلة تعدّ منعطفاً تاريخياً في الكلام الشيعي، وذلك أنّ الكلام الشيعي تعرّض في هذا المكان لنوع من التطوّر.

وإنّ المرحلة المتقدّمة للكلام هي المرحلة التي كانت قبل الخواجة نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ) إلى أن انتهت الخلافة العبّاسية، وتزامناً مع نهاية الخلافة العبّاسية، ونهضة الشيعة مرّة أخرى، انحدر المتكلّمون إلى الحلة ثانية، وصاروا سبباً في تطوّر الكلام. وتزامناً مع فتح بغداد على يد هولاكو خان سنة ٦٥٦ هـ سقطت الدولة العبّاسية، وانتهت حكومة العبّاسيين. ومن قبلها الدولة الفاطمية في مصر أيضاً التي ضعفها الصليبيون، وانتهت هذه الدولة على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ، وقد اضطربت البلاد الإسلامية آنذاك إثر الاجتياح الذي عمّها من قبل بلاد الشرق وبلاد الغرب، وقد عمّ فيها الهرج والمرج والقتل.

فالأحداث الآتفة الذكر صارت سبباً في عدم استطاعة الأنظمة الحاكمة دعم مذهبٍ كلاميٍّ خاصٍّ، ودحض سائر الفرق.

ومن جهةٍ أخرى فإنّ التصوّف الذي انتشر في كافّة أصقاع البلاد الإسلاميّة قبل الاجتياح المغولي لها، ولم يتحمّل العلوم العقليّة وخاصّة الكلام، فقد هزل إثر الأزمات الاقتصادية بعد الاجتياح المغولي، وتمهّدت الأرضيّة المناسبة لبدء علم الكلام نشاطه ثانيةً مع سائر العلوم العقليّة.

استطاع الخواجه نصير الدين الطوسي بشخصيّته الفذة أن يغتنم الفرصة المتاحة له جيّداً، وأن ينشئ حركةً جديدةً في علم الكلام وسائر العلوم العقليّة، بحيث تأثر المتكلّمون من بعده بطريقته الإبداعيّة، المتكاملة من النظام الذي اعتنى به النوبختيّون، فكان الجميع تبعاً له.

لقد تحوّلت هذه الحركة في مدرسة الحلّة بجهود العلامة الحليّ التلميذ المشهور للمحقّق الطوسي إلى نهضةٍ زائدة للعلوم الإسلاميّة في القرن الثامن. ولا بدّ من أن نعرّف أنّ الكلام قد اتّصل في أوّل هذا العصر بالفلسفة المشائيّة، وفي نهايته أيضاً مال للفلسفة الإشراقيّة والعرفان.

كذلك الانقسام الموجود بين المتكلّمين والفلاسفة الذي كان واضحاً في العصر، العباسي، فقد ضعف في هذا العصر، وحتىّ يمكننا أن نقول إنّّه زال ولم يبق له أثر.

وقد صُنّفت في هذا المرحلة متون كلاميّة مهمّة مثل (التجريد)، و(مناهج اليقين)، و(اللوامع الإلهيّة).

٢٦..... نظم الدرر في واجبات النظر

وقد حظت مباحث الإلهيات بالمعنى الأخصّ مكانة خاصّة، ولكن كتابة الحاشية كانت أكثر ازدهاراً من الإبداع والابتكار، وإنّ شرح كتب المتكلّمين السلف كان له السبق على إنشاء مدارس كلاميّة جديدة.^(١)

(١) مجلة (ادوار تاريخي علم كلام اسلامي، معارف عقلي)، خريف سنة ١٣٨٥، العدد ٣، ص ٤٥ إلى ٦٦.

ثانياً المؤلف وكتابه هذا

اسم المؤلف ونسبه

هو الشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن محمّد بن سالم الشقراوي، من المتكلمين المعاصرين للعلامة الحليّ.

وقد ذكر في كتب رجال الشيعة تحت عنوان: «تقي الدين إبراهيم بن محمّد بن سالم»^(١) وذكر في أوّل النسخة الفريدة من الكتاب: «تقي الدين أبو القاسم إبراهيم بن سلامة الشقراوي».

وعند مراجعة كتب رجال الشيعة المصنّفة قبل حياة المؤلف، ومشاهدة اسم هذا العالم الشيعي في عدّة كتب، ففي بادئ الأمر يبدو أنّ من الممكن الحصول على معلومات جيّدة عن حياة هذا العالم ومؤلفاته، ولكنّ بمزيد من التدقيق يتبيّن - مع الأسف - أنّ مصادر التراجم لهذا العالم الشيعي قليلة جدّاً، ولا يعتدّ بها، ولا يوجد فيها سوى مقدار جملتين أو ثلاث في شأنه، وقد تناقلتها الكتب، أخذ بعضها من بعض، وليس فيها ما يشفي العليل، ويروي الغليل.

(١) منها: أمل الآمل ٢: ٨؛ معجم رجال الحديث ١: ٢٧٨؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١: ٢١٨-٢١٩.

٢٨ نظم الدرر في واجبات النظر

فمع هذه الحال، لا بدّ لنا من الاستفادة من كتابه هذا للحصول على مزيد من المعلومات عنه.

فمن خلال الوقوف على هذا الكتاب ونسخته اليتيمة التي وصلت إلينا، وسلمت من كوارث الدهور وحوادث العصور، يمكن استفادة أمرين:

أولاً: جاء ذكر المصنّف في الصفحة الأولى من النسخة الفريدة بما يلي: «الشيخ الأجل، الإمام العالم، العامل الكامل، الزاهد العابد، العلامة، صاحب الأخلاق الرضيّة، والمناقب السنيّة، تقي الدين أبي القاسم إبراهيم بن سلامة الشقراوي، أدام الله علوه ورفعته، وأمدّ ظلّه وأتمّ بُغيته».

ومن هذا التعبير يبدو أنّ النسخة كتبت في أيام حياة المؤلّف، وهذا معناه أنّ المؤلّف كان في أيام حياته ذا منزلة رفيعة، ومقام علمي جليل، بحيث وصف بتلك الألقاب والصفات، ويفهم من خلال هذه العبارات أنّه كان يحظى بمراتب من الفضل والعلم، وبدرجات من الزهد والتقوى والأخلاق.

ثانياً: ذكر المصنّف في (صفحة ١٤٦ / ب) من الكتاب، في بحثه عن حقيقة النفس، في المسألة الثلاثين، بعد أن عرض جواباً مختصراً، أحال المخاطب إلى كتاب آخر من مصنّفاته، حيث قال: «ومن أراد التفصيل عليه بكتابنا الكبير».

ومنه يتبيّن أنّ كتاب (نظم الدرر) لم يكن هو المصنّف الوحيد من تأليفه، بل كان له كتاب آخر، في موضوع الكلام، أو في موضوع النفس، ولكنّه أكبر وأكثر تفصيلاً.

مقام المؤلّف وأقوال العلماء فيه

وكما ذكرنا سابقاً فقد جاء اسم المؤلّف في عدّة كتب رجاليّة، ومعلومات يسيرة لا تغني ولا تسمن من جوع.

وقد أثنى الحرّ العاملي على المؤلف بقوله: «الشيخ تقي الدين إبراهيم بن محمد بن سالم. فاضل عالم، يروي كتاب «كشف الغمة» عن مؤلفه عليّ بن عيسى، وله منه إجازة رأيتها بخط علمائنا».^(١)

والظاهر أنّ الحرّ العاملي هو أوّل من ترجم لمصنّف كتابنا هذا، ولذلك فقد صار مصدراً لمن تلاه من المؤلّفين، فأخذوا منه، ولم يزدوا عليه شيئاً.

ومنهم العلامة الميرزا عبد الله الأفندي، حيث نقل نفس عبارة الحرّ العاملي في (أمل الآمل) في موسوعته التراجميّة الشهيرة (رياض العلماء).^(٢)

ومن أجل أن نعلم أنّ الأفندي هل رأى إجازة رواية المؤلف أو لم يرها، فإنّ الرجوع إلى مقدّمة تحقيق هذا الكتاب يكشف لنا أنّ المجلّد الأوّل والرابع من القسم الخاصّ بنسخة مؤلّف كتاب رياض العلماء ضائع، ولم يصل إلينا، وبهذا السبب فإنّ حروف (أ، ب، ت، ث، ج) من المجلّد الأوّل، وحرف (م) من المجلّد الرابع لم يكن في متناول الأيدي، كما أنّ النسخ الأخرى المستنسخة من على نسخة المؤلف أيضاً لم يكن فيها هذه الحروف.

ومن ثمّ فإنّ محقق الكتاب لجأ إلى نسخة من كتاب أمل الآمل كانت بيد الأفندي، وتحتوي على حواشيه وتعليقاته؛ ليتلافى هذا النقص. فإنّه أضاف من أمل الآمل ما كان مفقوداً من كتاب رياض العلماء، وبهذه الطريقة استطاع أن يكمل كتاب رياض العلماء استعانةً بأمل الآمل. وهو عملٌ غير صحيح علمياً، فلا يصح إقحام كتاب في

(١) أمل الآمل ٢: ٨ / ١٠.

(٢) رياض العلماء ١: ٢٨.

٣٠..... نظم الدرر في واجبات النظر

آخر بذريعة سدّ النقص فيه، وهذا ما أوقع الكثير في هذا الخطأ وهو نسبة كلام الحرّ العاملي إلى الأفندي في التراجع.

وفي النتيجة، إنّ ما نراه في كتاب رياض العلماء في ترجمة الشقراوي، لم يكن سوى ما ذكره الشيخ الحرّ العاملي في كتابه أمل الآمل، ولم يكن للأفندي عليه أي حاشية أو تعليق، أو أمر جديد.

هذا، وإنّ الشيخ آقا بزرك الطهراني هو ثالث من ترجم المصنّف، فقد ذكره في كتاب الحقائق الراهنة في المئة الثامنة (وهو المجلّد الخامس من موسوعة طبقات أعلام الشيعة، وقد أشار إليه في كتاب الذريعة^(١)) قد ذكر الشقراوي قائلاً: «إبراهيم بن محمّد بن سالم، الشيخ العالم تقي الدين. هكذا وصفه الشيخ مجد الدين فضل بن يحيى الطيّبي عند ذكر الجماعة المُجازين في سنة ٦٩١ وهو عاشرهم (الذريعة: ج ١، ص ٢١٨-٢١٩) ممّن سمع كتاب كشف الغمّة عن معرفة أحوال الأئمّة، عن مصنّفه الوزير بهاء الدين أبي الحسن علي بن فخر الدين عيسى ابن أبي الفتح الإربلي، المتوفّى في [سنة] ٦٩٢؛ قال الطيّبي: إنّ صاحب الترجمة سمع المجلسين الأخيرين، وأُجيز له الباقي».^(٢)

وقد أشار الشيخ آقا بزرك إلى هذا الأمر أيضاً، وهو أنّ مجد الدين الطيّبي حين ذكر الجماعة الذين نالوا إجازة رواية كتاب كشف الغمّة عن مؤلّفه في سنة ٦٩١ هـ، عدّ تقي الدين الشقراوي ضمن هؤلاء نفر، ويوضّح ذلك بأنّه استمع المجلسين

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٧: ٣٤.

(٢) الحقائق الراهنة في المئة الثامنة: ٤.

الأخيرين، ونال إجازة نقل بقيّة المجالس من مؤلفه الإربلي.
ثم إن الشيخ آقا بزرك أشار إلى ترجمته في أمل الآمل قائلاً: «وترجمه الشيخ الحرّ في أمل الآمل (ج ٢ ص ٨)، وقال: رأيت الإجازة بخط علمائنا». ثم ذكر في نفس الكتاب (الحقائق الراهنة) في ترجمة أحمد بن محمد، حفيد أبي الفتوح الإربلي أسماء العلماء الاثني عشر الذين استمعوا من المؤلف في سنة ٦٩١ هـ قسماً من كتاب كشف الغمّة، كما نالوا منه أيضاً إجازة رواية باقي الكتاب. وقد كتب هذه الإجازة بخطّ يده واحدٌ من هؤلاء الاثني عشر، وهو مجد الدين الطيّبي الكوفي، وقد نقلها الشيخ آقا بزرك في كتابه الذريعة.^(١)

وأحد هؤلاء الرهط هو إبراهيم بن محمد، الذي ذكره من قبل.
إنّ الشيخ آقا بزرك الطهراني في أثناء عدّة إجازات علماء الشيعة في كتاب الذريعة ذكر إجازة الوزير الكبير بهاء الدين أبي الحسن عليّ بن عيسى الإربلي بقوله: «إجازة الوزير الصدر الكبير بهاء الدين أبي الحسن عليّ بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتوح الإربلي، المتوفّى سنة ٦٩٢ هـ، ودفن في بيته الكبير في الغربي من بغداد، لجمع قرؤوا عليه كتابه كشف الغمّة بعضاً أو كلّاً، وهم: الصدر عماد الدين عبد الله بن محمد بن مكّي، ... وتقي الدين إبراهيم بن محمد بن سالم، ... قرؤوه في مجالس عدّة، آخرها الاثنان الرابع والعشرون من شهر رمضان سنه ٦٩١».^(٢)

وبذلك نجد ذكر اسم الشيخ تقي الدين الشقراوي في عداد من قرأ كلّ كتاب

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١: ٢١٨ و ٢١٩، وج ١٨: ٤٨.

(٢) المصدر ١: ٢١٨-٢١٩ / ١١٤٧.

٣٢..... نظم الدرر في واجبات النظر

كشف الغمّة أو شيئاً منه على الإربلي، وقد ذكر في نهايتهم، وقد قرأ عليه هؤلاء الرهط كتابه في مجالس عديدة، كان آخرها يوم الاثنين ٢٤ شهر رمضان المبارك سنة ٦٩١ هجرية، وقد منحهم إجازة رواية الكتاب.

إنّ الشيخ آقا بزرك الذي عرّف كتاب (كشف الغمّة) ومؤلفه في مكان آخر من كتابه قد أشار إلى إجازات المؤلف في الجزء الأوّل منه، نورد كلامه برمّته:

«كشف الغمّة عن معرفة أحوال الأئمّة، وأهل بيت العصمة عليهم السلام الموسوم ترجمته بالفارسيّة بـ«ترجمة المناقب» لكونه في مناقبهم، مرتّباً على خمسة أصول كأصله، الذي [هو] للشيخ الوزير بهاء الدين أبي الحسن عليّ بن فخر الدين عيسى ابن أبي الفتح الإربلي، المتوفّي في [سنة] ٦٩٢ هـ، ودفن بجانب الغربي من بغداد، وفي البيت الكبير....

نسخة فيها خطّ المصنّف، وفي آخرها ما صورته... وسمعه الجماعة المسمّون فيه وهم: الصدر عماد الدين بن عبدالله بن محمّد بن مكّي،... والشيخ العالم تقي الدين إبراهيم بن محمّد بن سالم، سمع المجلسين الأخيرين وأجيز له الباقي،... وذلك في مجالس عدّة، آخرها الاثنين رابع عشر من شهر رمضان المبارك، من سنة إحدى وتسعين وستّمئة، وصلواته على سيّدنا محمّد النبي وآله»^(١).

وذكر السيّد الخوئي في رجاله قائلاً: «إبراهيم بن محمّد بن سالم: قال الشيخ الحرّ في تذكرة المتبحّرين: الشيخ إبراهيم بن محمّد بن سالم، تقي الدين: فاضلٌ، عالمٌ، يروي كتاب كشف الغمّة، عن مؤلفه علي بن عيسى. وله منه إجازة رأيته بخطّ علمائنا»^(٢).

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٨: ٤٧-٤٨ / ٦١٩.

(٢) معجم رجال الحديث ١: ٢٧٨ / ٢٦٢.

وهو أيضاً نقل كلام الشيخ الحرّ من تذكرة المتبحّرين، وهو اسم آخر لكتاب أمل الآمل، ولم يضيف إليه شيئاً.

وذكره العلامة الأميني في كتاب الغدير، حيث ذكر الإربلي في هامش كتابه بصفته أحد شعراء الغدير، وقد عرّف، كتاب كشف الغمّة، وذكر أسماء من أخذوا منه إجازة الرواية، وذكر من جملتهم إبراهيم بن محمّد بن سالم^(١)، ولم يزد عليه شيئاً أيضاً. وكذلك نجد تداول هذه المعلومات اليسيرة عن المصنّف في سائر المصادر، دون أي إضافة أو أمر جديد^(٢).

مولد المؤلف ونشأته

كما قلنا سابقاً أنّ الكتب الرجاليّة والتاريخيّة لم تذكر شيئاً أكثر ممّا ذكرناه في شأن مؤلّفنا، فمن ثمّ لا يمكننا أن نذكر في شأن مولده ونشأته ما نبثّ به سوى ما يمكننا أن نطرحه من تخمين بناءً على لقبه، وهو (الشقراوي)، فيحتمل أن يكون مولده في شقراء جبل عامل، وقد رحل إلى الحلة لطلب العلم، شأن سائر العلماء الذين كانوا يغادرون أوطانهم لطلب العلم. إلّا أنّه ممّا لا يمكن التشكيك فيه هو أنّه عاملي الأصل شقراوي النسبة.

وقرية شقراء من قرى جنوب لبنان، ومن توابع هونين في منطقة جبل عامل، وقد اشتملت منطقة جبل عامل على مساحات من الأراضي الساحليّة والجبلية لجنوب لبنان، حدود هذه المنطقة - بنحو تقريبي - تتصل شمالاً بنهر أُولي في شمال صيدا،

(١) الغدير ٥: ٦٩٢.

(٢) لاحظ مثلاً: تنقيح المقال ٤: ٣٠٢ / [٥٠٤] ٣١٨.

٣٤..... نظم الدرر في واجبات النظر

وجنوباً بنهر القرن في شمال مدينة نهارية (في فلسطين)، وشرقاً تمتدّ إلى بحيرة حولة (المعروفة بأردن الصغيرة) ونهر حاصبيا وغرباً بالبحر الأبيض. وتعرف منطقة جبل عامل وفقاً للخرائط الدولية حالياً ضمن محافظات النبطية ولبنان الجنوبيّة.

إنّ لجبل عامل قرى ومدناً معروفة جداً، ومن أشهرها وأهمّها: صيدا، وصور، وجزّين، والنبطيّة، والإسكندرية من بنت جبيل (في الجنوب)، وتبنين، وجبع أو جباع (في الشمال)، وشقيف (في الجنوب الشرقي من النبطية)، وعيناثا، ومشغري، وناقورة (في الجنوب الغربي)، وهونين (في الجنوب).

يعدّ جبل عامل موطناً للشيعّة قديماً. والمشهور أنّ سكّان هذا الإقليم قد اعتنقوا التشييع قبل سائر المدن، ويعود ذلك إلى الفترة الزمنية التي هُجّر بها الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري (جندب بن جنادة الأنصاري) إلى الشام في سنة ٢٤ هـ في عهد خلافة عثمان بن عفّان، فعندما وصل الشام نفاه معاوية بن أبي سفيان والي الشام إلى المنطقة الساحليّة من الشام أو إلى جبل عامل.

تطرّق أبو ذرّ الغفاري في هذه المنطقة إلى بيان آرائه في شأن الخلافة، وتبليغه إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما أدّى به إلى أن ردّه معاوية إلى المدينة ثانية.^(١)

وقد اشتهرت هذه المنطقة منذ بداية العهد الإسلامي بالتزام أهلها بتعاليم الدين الحنيف، وبتقواهم وطلبهم العلم، كما اشتهرت أيضاً بفقهاءهم الأعلام، وأدبائها وشعرائها.

وقد استدعى هذا الأمر الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي أن يؤلّف كتاباً في

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٦١٥.

تراجم علمائها تحت عنوان: «أمل الأمل في علماء جبل عامل».

وتزامناً مع نشوء العالم الشيعي الكبير محمد بن مكي العاملي الجزيي المعروف ب: الشهيد الأول (استشهد سنة ٧٨٦ هـ) قد ازدهرت جبل عامل ازدهاراً علمياً، حتى أصبحت من أكبر الحوزات العلمية الشيعية. ثم إنَّ الشهيد الأول هو - في الحقيقة - من علماء مدرسة الحلة؛ ولذلك اعتبر المؤلفون في تاريخ الفقه أنَّ حوزة جبل عامل هي امتداد لحوزة الحلة.

وقد عرفت هذه الحوزة إلى أواخر القرن الثاني عشر كونها أكبر حوزة علمية شيعية، وقد برز من تلكم الحوزة علماء وفقهاء ومحدثون أعلام، نحو الشيخ علي بن محمد البياضي (م ٧٩١ هـ)؛ والشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي (م ٩٠٥ هـ)، والشيخ علي بن عبد العالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني أو الكركي (م ٩٤٠ هـ)، وابنه الشيخ عبد العالي (م ٩٩٣ هـ)، والشيخ زين الدين بن علي الجبعي المعروف ب: الشهيد الثاني (استشهد سنة ٩٦٥ هـ)، وابنه الشيخ الحسن بن زين الدين المعروف بصاحب المعالم (م ١٠١١ هـ) وسبطه السيد محمد بن علي الموسوي المعروف ب: صاحب المدارك (م ١٠٠٩ هـ)، والشيخ الحسين بن عبد الصمد الحارثي (م ٩٨٤ هـ) وابنه الشيخ بهاء الدين العاملي (م ١٠٣٠ هـ) والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (م ١١٠٤ هـ)، وغيرهم من الأعلام.

إنَّ العدد الهائل لعلماء منطقة جبل عامل، وتحريرهم العلمي أدَّى إلى اعتناء أصحاب التاريخ والمحققين بهذه المنطقة، إلَّا أنَّه ممَّا يؤسف له أنَّ الشيعة أيضاً تعرَّضوا إلى التنكيل فيها، وضاع وتلف الكثير من تراثهم، نتيجة المجازر والنكدات الطائفية المقيتة.

٣٦..... نظم الدرر في واجبات النظر

ومنها حينما أحرقت مؤلفات علماء جبل عامل سنة ١١٩٥ هـ ، بأمر من الوالي العثماني علي صيدا أحمد باشا الجزّار، وسطوته الغاشمة، وملاحقته للعلماء، فإنّ مقدار ما أحرقت من هذه المؤلفات كان بحيث استمرّ جلاوزة الحكم بإحراقها في عكا إلى سبعة أيّام^(١).

وفي هذا الوسط؛ فإنّ قرية الشقراء كانت موضعاً لمولد بعض هؤلاء الأكابر والعلماء، بحيث منحتهم هذه القرية شهرة الشقراوي، فمن جملتهم العلامة السيّد محسن الأمين العاملي الشقراوي، والسيّد جواد بن محمّد حسين الحسيني العاملي الشقراوي صاحب مفتاح الكرامة، ومؤلف كتابنا هذا الشيخ تقي الدين الشقراوي، ولكن للأسف ليس لنا عن حياة عالمنا هذا شيء، سوى أنّه نشأ وترعرع في منطقة تعدّ مهداً للعلم والعلماء.

أساتذة المؤلّف ومشايخه

والشخص الوحيد المعروف الذي ذكر اسمه بصفته أستاذاً للشقراوي هو العالم الشيعي للقرن السابع الشيخ الوزير بهاء الدين أبو الحسن علي بن فخر الدين عيسى ابن أبي الفتح الإريلي البغدادي (م ٦٩٢هـ).

وكما قلنا سابقاً فإنّ الشيخ الحرّ العاملي تكلم في كتابه عن إجازة الرواية التي أخذها الشقراوي من الإريلي، وقد رأى الشيخ الحرّ العاملي هذه الإجازة، وقد أكّد على أنّ الشقراوي روى عنه كتاب الإريلي المعروف، أي كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام.

(١) جبل عامل في التاريخ: ١٠.

ولم نعثر على معلومات أكثر من هذا في شأن أساتذة وإجازات الشقراوي، وفي واقع الأمر أنّ هذا الموضوع (أي رواية كتاب كشف الغمّة) هو الثمرة الوحيدة التي أدّت إلى ذكر الشقراوي في الكتب الرجاليّة؛ وهذا الأمر في حدّ ذاته يدلّ على مراتب فضله وعلمه.

تلامذة المؤلّف والرواة عنه

على الرغم من البحث والتنقيب في المصادر، وفي كتبه ومصنّفاته، إلّا أنّنا لم نعثر حتّى الآن على مَنْ ذُكر بصفته تلميذاً أو راوياً للشقراوي، وبما أنّ من طبيعة الحال في سنّة رواية الكتب الشيعيّة ونقلها جيلاً بعد جيل، يمكن أن تكون هذه الإجازة سبباً للشقراوي أيضاً في منحه إجازة رواية كتابه كشف الغمّة لأشخاصٍ آخرين؛ ليكون حلقة من حلقات الوصل التي نقلت هذا الكتاب للأجيال التي تليها فيما بعد.

ولكن على كلّ حال لم نعثر على اسم شخص أو أشخاص أخذوا منه هذا الكتاب، ورووه عنه، وعلى هذا المنوال أيضاً لم نعثر على اسم يوصف بأنّه تلميذ لهذا العالم.

ولعلّ الأيام في قادم الزمن تكشف لنا عن شيءٍ من أحوال مشايخه، أو تلامذته، أو نشاطه العلمي.

مصنّفاته

لم ينسب لهذا العالم الشيعي سوى هذا الكتاب.

وعلى الرغم من أنّ المؤلّف ذكر في هذا الكتاب، وفي موضوع البحث عن حقيقة

٣٨..... نظم الدرر في واجبات النظر

النفس، في المسألة الثلاثين (في صفحة ١٤٦ / ب)، وبعد أن أبدى جواباً مختصراً أحال المخاطب إلى كتاب آخر له: «ومن أراد التفصيل عليه بكتابنا الكبير». وهذا التعبير يبين إما أن المصنف كان له كتاب آخر مثل هذا الكتاب، لكنه أكثر تفصيلاً، أو أنه كان في موضوع النفس وهو أيضاً أكبر حجماً وأكثر تفصيلاً. ولكن أقل ما يمكننا أن نقول هو أن راقم هذه السطور لم يعثر له، حتى الآن على كتاب آخر، سوى هذا الكتاب الذي وصل إلينا بنسخته اليتيمة، والكتاب الآخر الذي أشار إليه في كتابه هذا.

عصره

إن مجهولية المؤلف وقلة ذكره في الكتب الرجالية أدّى كذلك إلى عدم ذكر وفاة ومدفن هذا العالم، عالم من أعلام القرن الثامن الهجري. ١- نال المؤلف إجازة رواية كتاب كشف الغمّة عن علي بن عيسى الإربلي، ويعدّ أحد رواة. يمكن لهذا الأمر أن يدلّ على أنّه كان معاصراً لتلامذة الإربلي، ومن طبقتهم.

نظراً إلى تاريخ وفاة الإربلي في سنة ٦٩٢ هـ وسنة نيّله الإجازة، أي سنة ٦٩١ هـ، فإذا كان الشقراوي معاصراً للإربلي، وحصل على الإجازة في آخر سنّي عمره، فلا بدّ أن تكون سنة وفاته غايتها في أوائل القرن الثامن.

ولكن إذا كان هذا الارتباط في أواسط عمره أو شبابه، يمكننا أن نحتمل أن الشقراوي كان معاصراً للعلامة الحلّي، وكانت وفاته في العقدين الثاني أو الثالث للقرن الثامن.

٢- في أسفل الصفحة الأخيرة من النسخة التي بين أيدينا، نقرأ العبارة التالية:
«هذا تاريخ الولد الصالح أحمد ابن إبراهيم ابن محمد ابن سالم ولد يوم الخميس في شهر صفر في أول عشر سنة ثمانية وسبعين وسبع مئة من الهجرة النبوية، أنشأه الله أنجب الصالحين، آمين رب العالمين».

إذا صحّت هذه العبارة، وكانت بمعنى أنّ الشقراوي قد وُلِدَ له وَلَدٌ في سنة ٧٧٨هـ فهذا لا يتطابق مع شيءٍ ممّا افترضناه آنفاً، إذ لا بدّ لنا في هذه الحالة أن نفترض أنّه كانت علاقته بالإربلي في عنفوان شبابه في حدود الخامس عشر من عمره، وأنّه أنجب ولداً وهو في حدود المئة من عمره!
عدم التطابق ربّما يمكن إصلاحه أنّه أضيف اسم الحفيد إلى اسم الجدّ، لكبر سنّ الجدّ مثلاً، أو أنّ هناك سقط في العبارة.

عنوان الكتاب

قد وردت هذه العبارة في الصفحة الأولى من النسخة الوحيدة لهذا الكتاب (الصفحة ١٠٧ / ب): «كتاب نظم الدرر في واجبات النظر تصنيف الشيخ الأجلّ...، تقي الدين أبي القاسم إبراهيم بن سلامة الشقراوي أدام الله علوه ورفعته، وأمدّ ظلّه وأتمّ بُغيته».
وقد ذكر هذا العنوان أكثر من موضوع على ظهر النسخة ونسبته إلى مؤلّفه هذا.
بناءً على هذا، فإنّ عنوان الكتاب المقصود في بحثنا هذا هو: «نظم الدرر في واجبات النظر».

وقد ذكر بهذا العنوان أيضاً في فهرس المخطوطات.^(١)

(١) لاحظ: فهرس (دنا) ١٠: ٧٣٢.

٤٠ نظم الدرر في واجبات النظر

تبيّن من هذا التعبير نسبة الكتاب إلى المؤلّف بشكلٍ صريح، ومن جهةٍ أخرى فإنّ هذا الكتاب لم ينسب في أيّ كتابٍ من فهارس مؤلّفي الشيعة أو مصنّفاتهم إلى أيّ عالمٍ أو كاتبٍ آخر.

منهج المؤلّف

يمكننا أن نتعرّف في الكتب الكلاميّة على منهجين من طريقة تبويب الفصول وتنظيمها:

أ. تبويب الكتاب بشكلٍ متوالٍ من أوّل الكتاب إلى آخره.

ب. تبويب الكتاب على عدّة فصول أو عدّة أبواب أصليّة، ثمّ التقسيمات الجزئيّة لكلّ فصل.

فمن المجموعة الأولى يمكننا الإشارة إلى كتاب الياقوت في علم الكلام لإبراهيم ابن نوبخت، والذخيرة في علم الكلام للشريف المرتضى (٤٣٦هـ)، وكتاب المنقذ من التقليد لسديد الدين الحُمّصي (٦هـ)، والمسائل الأربعينيّة للشهيد الأوّل (٧٨٦هـ)، كما يمكن الإشارة إلى الكتاب المعنيّ في بحثنا هذا، وهو نظم الدرر لتقي الدين الشقراوي.

لقد دوّنت ورتبت مباحث هذا الكتاب على عددٍ من المسائل، والأبواب، والفصول... تفريعات أخرى.

على الرغم من أنّه يمكن أن تكون ثمة تفريعات تبعاً لهذه الأبواب أو الفصول، ولكن هذه التبويبات لم تنتهج نظماً منطقياً خاصّاً، ولذلك فإنّ وجود عناوين مختلفة جنباً إلى جنب بصفحتها باب... لا تدلّ على تكافؤها في أصل

البحث، فلعلّها أبحاث متوالية أو منفصلة جاءت بصفتها فصلاً واحداً، ولكنها من الناحية المنطقيّة تعدّ فرعاً آخر.

على سبيل المثال، ففي كتابي الياقوت والمنقذ من التقليد قد طرح بحث إثبات إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وإمامة سائر الأئمة عليهم السلام في فصلين بعد فصل الإمامة، في حين أنّ هذين الباحثين في واقع الأمر هما فرعان من أبحاث الإمامة. وكثيراً ما يرى من هذا القبيل من التشابهات في هذه المجموعة، على نحو بحيث ما نراه من نظمٍ كلٍّ يجعلنا أن نتوقع رؤية التشابه الدقيق في العناوين وترتيب الأبحاث، وهو توقّع في غير محله.

كما أنّ بحوث الآجال والأرزاق في كتاب المعتمد قد جاءت في نهاية الكتاب، وبعد أبحاث الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن في كتاب المنقذ جاء ذكرها قبل بحث النبوات والوعد والوعيد....

أمّا الكتب الكلاميّة وخاصّة كتب القرن السابع وما بعد، فقد جاءت أكثرها في عداد المجموعة الثانية، مثل: النكت الاعتقاديّة المنسوب للشيخ المفيد (٤١٣هـ)، والاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد للشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، وتجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ)، والمسلك في أصول الدين للمحقّق الحليّ (٦٧٦هـ)؛ وكشف المراد، وتسليك النفس إلى حظيرة القدس، ومناهج اليقين في أصول الدين، ومعارج الفهم في شرح النظم، ونهج الحقّ وكشف الصدق كلّها للعلامة الحليّ (٧٢٦هـ)، وقواعد المرام في علم الكلام لابن ميثم البحراني (كان حياً سنة ٦٨٧هـ)، اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة للفاضل المقداد (٨٢٦هـ)....

٤٢ نظم الدرر في واجبات النظر

خلافًا للمجموعة الأولى؛ فإن الكتب في المجموعة الثانية ذات تبويبٍ منطقيٍّ ومعينٍ، وكل فصلٍ ذو تفرعات من نفس تلكم البحوث، وقد روعي فيها ترتيب البحوث وطرحها، مع حفظ موقعها كليًّا وجزئيًّا في كل تلكم الأبحاث، ففي أكثر هذه الكتب بعد أن ندخل في البحوث الاعتقاديّة غالباً ما نلاحظ فصول إثبات الصانع، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد.

وأما كتابنا هذا فعلى الرغم من أنّه من حيث ترتيب المباحث المطروحة فيه وعناوينها، أكثر شباهةً في بعض فصوله بمصنّفات كلاميّة من قبيل تسليك النفس، ومناهج اليقين، وكلاهما للعلامة الحليّ.

ولكن تختلف معها كليًّا في نوعيّة التدوين، وكما قلنا فإنّها تنتمي للمجموعة الأولى المذكورة آنفًا.

وهو عند مقتضى الحاجة إذا رأى من اللازم تقديم مقدّمة للموضوع؛ فإنّه يقدّمها قبل أن يلج فيه، وتارة يجعل له فصلاً على حدة.

ومثال ذلك: أنّه في موضوع المعاد يتطرّق إلى ذكر مقدّمة قبل أن يلج في موضوع المعاد، وتلك المقدّمة هي الافتقار إلى أصلين:

١- معرفة النفس، ومعرفة النفس هي الأخرى تفتقر إلى معرفة جوهر الفرد.

٢- إثبات الخلاء في مسألة إثبات جوهر الفرد، حقيقة النفس، وإثبات الخلاء.

وقد أشار المؤلّف في مواضع عديدة من كتابه إلى آراء مختلف المذاهب الإسلاميّة ومختلف العلماء، فيؤيّد آراءهم أو يردّها ونشير فيما يلي إلى بعض منها.

فمن الفرق:

١. السمنية [١٠٨ / أ].
٢. البراهمة [١٣٤ / ب].
٣. الأشاعرة [١٢٦ / ب و...].
٤. المعتزلة [١١٤ / ب و...].
٥. الفلاسفة [١٢٣ / ب و...].
٦. الإسماعيلية [١٦٠ / أ].
٧. الزيدية [١٦٢ / ب].
٨. الإمامية [١٤٣ / ب و...].
٩. الفضلية أو الفضيلية، وهم بعض الخوارج [١٤٣ / أ].
١٠. العدلية [١٣٦ / ب].
١١. النجارية [١٣٦ / أ].
١٢. الكرامية [١٢١ / أ].

ومن المتكلمين:

١. أبو الحسين البصري [١٢٦ / ب و...].
٢. أبو الحسن الأشعري [١٣٦ / أ و...].
٣. أبو الهذيل العلاف [١٣٦ / ب].
٤. أبو القاسم البلخي [١٣٩ / أ].
٥. أبو علي الجبائي [١٣٩ / أ].

٤٤ نظم الدرر في واجبات النظر

٦. نجله أبو هاشم الجبائي [١٥٦ / ب].

٧. جهنم بن صفوان [١٣٦ / أ].

٨. السيّد المرتضى [١٣٩ / أ].

٩. أفلاطون [١٤٦ / ب].

١٠. النظام [١٤٤ / أ]

مقارنة كتاب نظم الدرر مع سائر الكتب الكلامية

من السنن التي ما زالت قائمة في الحوزات العلمية في ماضيها وحاضرها هو تدوين كتابٍ يعتمد في مواضيعه على كتاب آخر للعلماء الحاضرين أو الماضين منهم.

ومن خلال المقارنة بين مواضيع كتاب نظم الدرر مع سائر الكتب الكلامية يمكننا أيضاً أن نطرح بعض التخمينات في هذا الشأن.

من جملتها:

١. أنّه شوهدت في العديد من الحالات تشابهات كثيرة وبعضها غريبة بين مواضيع - بل حتّى بين عناوين - كتاب نظم الدرر وكتاب الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي، إلى حدّ بحيث يبدو أنّ المواضيع والعناوين قد أخذت كما هي عليه من الكتاب المذكور.

والذي يتبادر إلى الذهن من هذا الأمر هو أنّه من الممكن أن يكون المؤلّف الكريم قد قام بتدوين بعض مواضيع الكتاب، من حيث كونه اعتمد على الكتاب

المذكور؛ وذلك بقصد طرح آرائه إزاء آراء الفخر الرازي أو ردّها أحياناً. فإنّ مقارنة نصّ الكتابين يوضّح لنا هذا الأمر جيداً.

وبالتأكيد فإنّ هذا الأمر قد ساعد المصحّح في تصحيح نصّ الكتاب وترميمه (خاصّة في الصفحات التي تعرّضت إلى أضرار وكانت الكلمات غير مقروءة).

٢. وإنّ الكتاب الآخر الذي يحتوي على مواضيع مشابهة لهذا الكتاب هو كتاب معارج الفهم في شرح النظم للعلامة الحليّ، بحيث لا يمكن أن نقول أيّهما كان مقدّماً على الآخر في تأليف كتابه؛ وذلك أنّ المؤلّف كان معاصراً للعلامة. وإن كان الاحتمال الأقرب للصواب هو تأخر كتابنا هذا.

ويؤيده أنّ العلامة الحليّ صرّح في نهاية كتاب معارج الفهم أنّه فرغ من تصنيفه في «السادس من شهر رمضان المبارك، عام ستّمئة وسبعين وثمانية» الأمر الذي يعني أنّه من أوائل تصانيفه الكلاميّة.

على كلّ حال فمن الواضح أنّ المؤلّف الكريم كان دقيق الاطلاع فيما يدور حوله من جوّ علمي، ولم يتوان عن هذه الدقّة في تأليف الكتاب.

نسخة الكتاب

لم نجد لهذا الكتاب سوى نسخة فريدة تحتفظ بها مكتبة مدرسة العلوي في مدينة خوانسار برقم ض ٢، وهي نسخة قديمة مصحّحة، عليها علامة البلاغ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن.

ويبدو أنّها كتبت في حياة المصنّف، حيث ورد في عنوان الكتاب بعد ذكر اسم

٤٦ نظم الدرر في واجبات النظر

المصنّف العبارة التالية: «أدام الله علوّه ورفعته، وأمدّ ظلّه وأتمّ بُغيته»، وهي تدلّ على أنّه كان حيّاً.

وكذلك يدلّ على كونه كان حيّاً إلى ذلك العهد بالدقّة ما سجّله المصنّف في نهاية النسخة من تاريخ مولد بعض أبنائه، وهي كما يلي: «هذا تاريخ الولد الصالح أحمد بن إبراهيم بن محمّد بن سالم، وُلِدَ يوم الخميس في شهر صفر في أوّل عشر وسبعين وسبعمئة من الهجرة النبويّة أنشأه الله نشوّ الصالحين، أمين ربّ العالمين». ولا يخفى أنّ خطّ كتابة هذا التاريخ هو نفس خطّ متن الكتاب.

والنسخة في ضمن مجموعة فيها كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت للعلامة الحلّي، وبعده كتاب نظم الدرر هذا، وهي ناقصة، حيث ورد في الصفحة الأخيرة منها بحث في إمامة الأئمّة الأحد عشر عليهم السلام بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

تعرّضت بعض الصفحات من هذه النسخة طوال الزمن إلى خسائر وأضرار أدّت إلى تعسّر قراءة الكثير من الكلمات، وتارةً كانت قراءتها غير ممكنة، وفي بعض الصفحات بهت حبر بعض كلماتها، بسبب مضيّ الزمن أو الخسائر العارضة عليها، مثل تسرّب الماء إليها، وأمثال ذلك.

ولكن يبدو أنّ أحداً غير الكاتب الأوّل للنصّ قد أراد إصلاح هذا التضرّر، فاستخدم مداداً آخر غير المداد الأوّل، وبذل جهده فصار يطلي الكلمات الغير واضحة ليعين على قراءة الكلمات، ولكن إذا دقّقنا نرى ومع الأسف أنّ من قام بهذا العمل لم يكن خبيراً بالموضوع وبمحتوى النصّ، وقد أدّى في بعض الحالات إلى اشتباه، أو عدم الوضوح، أو خطإ في النصّ.

يمكننا أن نرى أنموذجاً من هذه التصرفات في الصفحات ١٤٨/ب؛ ١٤٩/ب؛ ١٥٠/ب؛ ١٥٤/أوب؛ ١٥٥ و ١٥٦/أوب؛ ١٦٠/أو....

وفي بعض الصفحات بلغت الخسائر إلى حدٍّ بحيث لم يتمكّن المصحّح المذكور من قراءتها، وبقي النصّ على حبره الباهت غير واضح، ومن بعض النماذج ما في الصفحات ١٥٧ إلى ١٦٣.

ونجد تارةً أخرى في الصفحات (ألف) إلى (باء) (فإنّ الصفحات المتفرقة عن خياطة الكتاب وترميمه) يكرّر الكاتب كتابة الكلمة الأخيرة من الصفحة المتقدمة إلى الصفحة التي تليها، وهي إحدى العلامات المعهودة عند النساخ والمؤلفين لمعرفة ترتيب الصفحات وترقيمها، ويصطلح عليها بـ: «الركابة».

وقد ظنّ المصحّح للنسخة أنّ هذا التكرار الحاصل في النصّ زائد، فيحذف الكلمة المكررة في التصحيح.

نظراً لما ذكر فقد بذلت الجهود المضنية والسعي الدؤوب بعد التنضيد الأول للنصّ للاستعانة بالمواضيع التي تنصب في موضوع النصّ، وقد جرت مقارنة مختصرة أيضاً مع الكتب الكلامية المعاصرة للكتاب، والمتّحدة له في الموضوع؛ لتصحيح الفقرات الغامضة منه وترميمها ما أمكن ذلك.

وكلّما تمعنّا في نصّ الكتاب نرى ما وقع فيه من الأخطاء سهواً، وسنمرّ سريعاً على بعض النماذج من خلال الإشارة إليها:

أ - غير في التصحيح من كتابة خاصّة لبعض المفردات في النصّ، حيث يبدو منها أنّ المصحّح كان يسعى لتسهيل عبارة النصّ، وما إلى ذلك من السهو الذي وقع فيه

٤٨ نظم الدرر في واجبات النظر

(مثل حذف الهمزة في كتابة: أسأل (اسل) [١٠٧/ ب]؛ التجؤوا (التجوا)؛ الأنبياء (الأنبيا) [١٠٩/ ب]؛ غذاء (غذا) [١٤١/ ب]؛ شيئاً (شيئا) [١٤٤/ أ].

أو كتابة «ي» مكان الهمزة: دائم (دايم) [١٤١/ أ]؛ أجزاءه (أجزايه) [١٥١/ أ]؛ أو حذف الهمزة: ببقائها (ببقاها) [١٤٧/ ب]؛ أخطؤوا (أخطوا) [١٦١/ أ].

ويؤول بعضها إلى الرسم الإملائي القديم.

ففي بعض مواضع الكتاب نجد كتابة بعض المفردات غير صحيحة، ونرى أنّ سبب كلّ ذلك عدم معرفة المستنسخ بالكلمات أو العوامل، مثل سرعة الكتابة أو سهولتها، وقد أشرنا في هامش الكتاب إلى بعض هذه الحالات.

ب- ونجد أيضاً نماذج من الأخطاء النحويّة، مثل عدم مطابقة الصفة والموصوف: علماً استدلالياً (استدلالي) [١٠٨/ أ]؛ وعدم مطابقة الفعل والفاعل: اختلف (اختلفت) الناس [١٠٨/ أ]؛ ونصب الخبر: هو متأخّر (متأخرا) [١١٤/ ب]؛ نصب خبر «إنّ» و«أنّ» أو رفع اسمهما: أنّ النظر مفيدٌ (مفيدا) إنّّه عالمٌ (عالما) [١٠٨/ ب]؛ ونصب الفاعل: لم يخرج شيءٌ (شيئاً) [١١٣/ ب]؛ ورفع المفعول به: لا يوجب (تغيير) تغييراً [١٢١/ أ]؛ والتنوين عوضاً عن الفتحة: ترتيب دلائل (دلایلا) [١٠٧/ ب]؛ وعدم تطابق الفعل والفاعل أو الاسم والخبر: كانت (كان) نسبةً [١١٥/ ب]؛ إمّا ممكنةً (ممکنٌ) [١٢٦/ ب]؛ وكتابة الأفعال المجزومة: لم تكن (تكون)؛ [١١٢/ أ] لم يمش (لم يمشي) [١٢١/ ب].

ويمكننا أن نعدّ السبب فيها هو نفس السبب المذكور آنفاً، ولا شكّ في أنّ المؤلّف بريءٌ من أمثال هذه الأخطاء وقد أثير إليها في الهامش في بعض المواضع.

منهج التحقيق

نظراً لما تقدّم من التعريف بالنسخة لم نأل جهداً في تحقيق الكتاب، وضبط نصّه، وقد بذلنا تمام سعيينا في سبيل قراءة النسخة قراءة صحيحة، وضبط النصّ وكلماتها ضبطاً صحيحاً، والتقويم العلمي للمتن وقد بذلنا وقتاً كثيراً واستنزف منا جهوداً مضاعفة في سبيل قراءة النسخة.

وقد اتخذنا الخطوات التالية في تحقيق الكتاب:

١- وضعنا الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿ ٢٢٢ ﴾، والروايات بين قوسي تنصيص (١).

٢- تخريج ما لزم تخريجه من الآيات الروايات والآثار والأقوال، من مصادرها القديمة، وبذلنا قصارى جهدنا في إحالة ما نقله المؤلف من أقوال وآراء العلماء الفرق أو المذاهب إلى مصادرها المعتبرة.

٣- التعريف بالمفردات والأعلام التي تفتقر إلى توضيح أو بيان أحوال الشخصيات، والفرق، والمذاهب و... ما إلى ذلك.

فوائد النسخة وتملكاتها

على النسخة جملة من الفوائد والمذكرات العلمية والتملكات، نوردها لاستطراف القارى وتوثيقها، وللفادة:

- كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت تأليف العلامة، مع كتاب نظم الدرر في واجبات النظر، تأليف الشيخ تقي الدين أبي القاسم إبراهيم بن سلامة الشقراوي، كتبه الكاتب في زمن المؤلف.

- بسم الله، قد دخل في نوبة العبد الجاني عبد الله الأصفهاني.

٥٠ نظم الدرر في واجبات النظر

- أقول وأنا الفقير إلى الله تعالى زين العابدين بن محمد بن إسماعيل العاملي: إنّي قد بعث من السيّد الجليل الكبير العالم العامل، مبيّن الأصول العلميّة، ومستخرجاً [كذا، والصواب: مستخرج] الفروع من الأصول، وحيد دهره، وفريد عصره، السيّد هاشم بن السيّد الأجل السيّد محمد الأردوبلي كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت وأيضاً كتاب مجموع أحاديث أهل البيت ﷺ بثمانٍ قدره ذهباً ونصفاً.

حرّر نهار الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر، ختم بالخير والظفر، من شهر سنة ثلاث عشر بعد الألف [١٠١٣ هـ]، والحمد لله وحده.

- انتقل إليّ بالبيع الشرعي. حرّره علي بن محمد باقر الموسوي، غفر الله لهما.

ونقش خاتمه: «العبد سيد علي الموسوي».

- [...] ميرزا زين العابدين وفقه الله تعالى بخشيده شد. حرره العبد الجاني عبد الله، وختمه غير مقروء.

- قيمت پنج هزار دينار.

- كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت في أصول الخمسة وكتاب نظم الدرر أيضاً في [الـ] أصول الخمسة.

اشترت وأنا ابن محمد الحسيني هاشم الأردبيلي، أنوار الملكوت وله [كذا] شرح الياقوت من الشيخ [الفاضل (ظ)] العامل الصالح الشيخ زين العابدين العاملي، عامله الله [بلطفه] ^(١)، وأيضاً كتاب مروج الذهب (ظ) مع جمل الشيخ الطوسي تغمدّه الله (ظ). قدره ذهباً ثلاثة ذهب ونصف. غلط أخ الفاضل (ظ) في المكتوب قيمة الكتاب وتملكت الكتب المذكورة [...] ^(٢) بتاريخ يوم الاثنين التاسع والعشرين

(١) زيادة منّا، لاقتضاء السياق.

(٢) كلمات غير مقروءة.

شهر الصفر، ختم بالخير والظفر من سنوات ثلاث عشر بعد الألف في (ظ) أشرف المكان، يعني مكة المشرفة، زادها الله شرفاً وتعظيماً.

رحم الله من نظر في هذا الكتاب من بعدي، وقرأ في إخلاصٍ بالإخلاص.

- وقال عليه السلام، وقال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ ... قال النبي صلى الله عليه وآله: «من شرب الماء وذكر الحسين عليه السلام

ولعن قاتله كتب الله له مئة ألف حسنة، ومحى عنه مئة ألف سيئة، ورفع له مئة ألف درجة، وكأَنَّمَا أُعْتُقَ مِئَةُ أَلْفِ نَسَمَةٍ، وحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلْبَجَ الْوَجْهَ»^(١) أي أبيض.

- «هذا تاريخ الولد الصالح أحمد بن^(٢) إبراهيم بن محمد بن سالم: وُلِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ

في شهر صفر في أوّل عشر سنة ثمانية وسبعين وسبع مائة من الهجرة النبوية، أنشأه الله نشوؤ الصالحين، آمين رب العالمين».

وأيضاً في حاشية النسخة:

إذا خانك الدهر فيما تروم إذا خانك الدهر فيما تروم يدرّ بعد السرور النعيم^(٣)

- فائدة للحمى:

وجدت بخط الرضا عليه السلام: «تكتب ثلاث رقاع من الكاغذ؛ على الأولى: بسم الله

الرحمن الرحيم لا تخف إنك أنت الأعلى؛ وعلى الثانية: بسم الله الرحمن الرحيم لا

تخف نجوت من القوم الظالمين؛ وعلى الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم ألا له الخلق

والأمر تبارك الله رب العالمين»^(٤).

(١) الأمالي للصدوق: ١٤٢؛ كامل الزيارات: ١٠٦-١٠٧.

(٢) في الأصل: «ابن»، وهكذا ما بعده.

(٣) البيت الآخر مطموس.

(٤) جاء في المصباح: وَوُجِدَ بِحَظِّ الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ: تُكْتَبُ لِلْحُمَى عَلَى ثَلَاثِ قِطَعٍ مِنَ الْكَاغِذِ، يُكْتَبُ عَلَى الْأُولَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى، وَعَلَى الثَّانِي بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ: لَا تَخَفُ

- لوداع شهر رمضان:

يا أيها الشهر المجدد المسرعُ	هذا الوداع فإني وقت ترجعُ
فمتى لنا [يا] ^(١) شهرنا نستجمعُ	إن كان هذا الشهر جرّد حاله
والشمل ملتأمٌ ونورك يلمعُ	أترى تعود ونحن في أوطاننا
وتلاوة القرآن فيها تسمعُ	ومساجد الإسلام شرّق نورها
لقراءة القرآن وهي تطوعُ	لله أيام الصيام وجمعنا
وقلوبنا لسامعه تتخشعُ	وصدورنا مشروحة لصيامه
أين الشroud و[ذي] ^(٢) الركائب تسرعُ	يا غافلاً عما خلقت لأجله
أين الصيام والدموع مودعُ	أين البكاء على الفراق لشهرنا
يا حسرة المطرود وهو مضيعُ	يا فرحة العبد المطيع لربه
وإليك من فعل المطامع تقلعُ	يا مالكي فلك التجاوز والرضا

وقفية النسخة

على النسخة وقفية الكتاب على طلبة العلوم الدينية في خوانسار، مع جملة من مخطوطات أخرى، من قبل السيدة «فاطمة بنت السيد آقا حسين»، وجعلت توليتها بيد الحاج الشيخ صادق أو إمام جمعة خوانسار، وإليك نص الوقفية:

﴿ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَعَلَى الثَّالِثِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ: أَلَا لَهُ الْأَمْرُ وَالْخَلْقُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. ثُمَّ يَقْرَأُ عَلَى كُلِّ قِطْعَةٍ التَّوْحِيدَ ثَلَاثًا، وَيَبْلُغُهَا الْمَحْمُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، كُلَّ يَوْمٍ وَاحِدَةً، يَبْرَأُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. (المصباح للكفعمي (جنة الأمان الواقية): ١٦١).

(١) زيادة لتصويب الوزن.

(٢) زيادة لتصويب الوزن.

«هو الواقف وقف مؤبد وحبس مخلص شرعى نموده عليا حضرت خدرات دستگاه، زبدة المستورات، فاطمه خانم بنت مرحمت مآب، رضوان تراب، آقا سيّد حسين، اين مجلد كتاب مع مجلدات ديگر بر كافه طلاب علوم دينيه قصبه خوانسار كه ازين متفع و بهره مند گردند و در معرض بيع و شراء وساير منافيات وقف در نياورند. وتوليت آن را مفوض نمود به عاليجناب فضائل مآب، كهف الحاج، حاجى شيخ صادق، وبعد از آن بهر كس كه كتاب در نزد او است به شرط قابليت واهليت داشتن، وإلا با امام جمعه قصبه مزبوره باشد.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾.

وكان ذلك تحريراً تاريخ في شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ.

شكر و عرفان

ولا يطيب لنا في الختام، إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في تحقيق هذا الكتاب، وشارك في إنجازه وظهوره للطبع، ونخصّ منهم بالذكر:

١- حجة الإسلام الشيخ محمد تقي السبحاني، حيث تمّ العمل على النسخة بإرشاده واقتراحه.

٢- حجة الإسلام الشيخ رضا المختاري، مدير مؤسسة تراث الشيعة، لتفضله علينا بالنسخة المصوّرة للكتاب.

٣- الأستاذ الدكتور قاسم جوادى والدكتور محمد حسن محمّدي مظفر؛ لإشرافهما وملاحظتهما.

٥٤..... نظم الدرر في واجبات النظر

٤- الشيخ الدكتور حيدر البياتي للمراجعة العلميّة النهائيّة وضبط النص وتقويمه والمشاركة في تحقيق الكتاب.

٥- الإخوة المسؤولين في العتبة الحسينيّة المقدسة (على مشرفها السلام والتحيّة) ومركز العلامة الحليّ ﷺ لتقبّلهم نشر الكتاب بحلّة علمية.

رعى الله الجميع بظل رعايته، ووفّقنا وإياهم للمزيد من العلم والعمل الصالح، إنّه على كلّ شيء قدير، وبالإجابة جدير.

مصطفى مرادي